



### المقدمة

مصطلح التنظيم المؤسسي Institutionalization او النزعة النظامية كثير الاستعمال في الصحة العقلية من جراء تاريخ ودور المصحات العقلية في احتواء ورعاية المرضى بالمصابين بالاضطرابات العقلية. يتم حجز او تنظيم الفرد ضمن مؤسسة معينة وعليه الالتزام ضمن قواعد وارشادات تفرضها المؤسسة. بعد فترة زمنية قد تطول او تقصر اعتماداً على القدرة العقلية للفرد، يكتسب الفرد صفات شخصية ومفاهيم وسلوك قوي الارتباط بالمؤسسة التي تم تنظيمه داخلها.

المصطلح المعاكس للتنظيم المؤسسي هو خلع التنظيم المؤسسي De-institutionalization وهو بالتالي يعني تحرير الفرد من القيود التي تربطه بالمؤسسة التي ينتمي اليها واكتسابه صفات شخصية ومفاهيم وسلوك جديد ساعياً الى تحقيق اهدافه وطموحاته الشخصية المشروعة. يرتبط مصطلح خلع التنظيم المؤسسي مع تحول الخدمات الصحة العقلية بعيداً عن المصحات العقلية التي قد يعيش فيها المريض طوال عمره الى الرعاية ضمن المجتمع والتفاعل السليم مع الآخرين.

### المفاهيم والمؤسسات

يمكن تتبع دور المؤسسات في تاريخ البشرية منذ القدم وخاصة في العهود الكلاسيكية الاغريقية والرومانية. كان لتحديث وتنظيم المؤسسات دوره في نهضة الشعوب الاوربية منذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا. هناك مؤسسات سياسية واجتماعية وطبية يصعب حصرها وتعدادها وجميعها تلعب دورها في تقديم خدمات متنوعة للمجموعة البشرية التي تعني بها.

لكن المؤسسات لا تنظم الافراد وحسب وانما تستحدث في داخلها مفاهيم وقيم متنوعة. في الوقت الذي ينتهي دور الفرد المنتمي الى المؤسسة تستمر هذه المفاهيم والقيم ثابتة في محلها لا يجرأ أعضاء المؤسسة من جيل بعد اخر على تحديها. أفضل مثال على استيطان المفاهيم القديمة داخل المؤسسات هو العنصرية ومن جراء ذلك هناك مصطلح شائع الاستعمال في الغرب وهو العنصرية المؤسسية Institutionalised Racism. هذا الصنف من العنصرية لا يزال حياً في الكثير من المؤسسات الغربية رغم تشريع القوانين لمحاربة العنصرية والحرص على تطبيق مبدأ المساواة بين الافراد بعيداً عن انتسابهم العرقي والديني.

يدخل الإنسان المؤسسة ويفقد تدريجياً استقلاله وحرية تفكيره. يتمسك بجمع المفاهيم والقيم الموجودة ضمن المؤسسة ويؤمن بها ويدافع عنها بقوة. لا يدوم الافراد داخل المؤسسة مثل دوام المفاهيم والقيم، ولكن حتى بعد رحيل الفرد من المؤسسة يحمل في حقيبته مكافأة انتهاء الخدمة

مصطلح التنظيم المؤسسي Institutionalization او النزعة النظامية كثير الاستعمال في الصحة العقلية من جراء تاريخ ودور المصحات العقلية في احتواء ورعاية المرضى بالمصابين بالاضطرابات العقلية.

المصطلح المعاكس للتنظيم المؤسسي هو خلع التنظيم المؤسسي De-institutionalization وهو بالتالي يعني تحرير الفرد من القيود التي تربطه بالمؤسسة التي ينتمي اليها واكتسابه صفات شخصية ومفاهيم وسلوك جديد ساعياً الى تحقيق اهدافه وطموحاته الشخصية المشروعة

لكن المؤسسات لا تنظم الافراد وحسب وانما تستحدث في داخلها مفاهيم وقيم متنوعة. في الوقت الذي ينتهي دور الفرد المنتمي الى المؤسسة تستمر هذه المفاهيم والقيم ثابتة في محلها لا يجرأ أعضاء المؤسسة من جيل بعد اخر على تحديها

ومفاهيم المؤسسة نفسها.

يواجه الفرد الكثير من الصعوبات بعد وداعه المؤسسة التي انتمى اليه. مصدر هذه الصعوبات هو ما يطلق عليه العجز المكتسب **Learnt helplessness** وهو تعلم الشعور بعدم القدرة على تجاوز التحديات بدون الرجوع الى المؤسسة.

لكن الانتماء الى المؤسسة والدخول اليها لا يخضع لإرادة الفرد دوماً. هناك:

1 انتماء تطوعي.

2 انتماء اجباري.

الانتماء التطوعي يخضع لظروف الفرد الشخصية وطبيعة المرحلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجموعة البشرية التي ينتمي اليها.

أما الانتماء الاجباري فهو عملية تفرضها المؤسسة التي اكتسب قوة هائلة داخل المجتمع التي من المفروض ان تخدمه، ولكنها مع مرور الوقت تصبح اقوى من المجتمع نفسه بعبارة أخرى تتحول المعادلة من المؤسسة في خدمة الشعب الى الشعب في خدمة المؤسسة.

### التنظيم المؤسسي في العالم العربي

لعبت المؤسسات دورها في العالم العربي ولفترة زمنية طويلة، ويمكن تتبعها في تاريخ كل بلد عربي. تختلف مؤسسات العالم العربي بكونها قوتها واكتسابها المناعة ضد التغيير. المفاهيم التي استوطنت هذه المؤسسات لم يطرأ عليها تغيير كبير ونجحت في نشر مفاهيمها وتنظيم شريحة كبيرة من المجتمع التي تنتمي اليه.

### مصر

يمكن القول بان مؤسسة الجيش المصري هي اقوى وأكبر مؤسسة من نوعها في العالم العربي منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. نجحت هذه المؤسسة في تنظيم اعداد هائلة من المواطنين ونشرت مفاهيم استوطنت مصر لفترة طويلة. واحد من الشعارات التي شاع ترديدها في مصر أيام الربيع العربي هتاف: " الجيش المصري فين" رغم ان الثورة بحد ذاتها كانت ضد نظام سياسي خاضع لسيطرة الجيش أو الجيش نفسه. لم يستطع الشارع المصري التخلص من المؤسسة ومفاهيمها التي لم تستوطن المؤسسة ومن ينتمي اليها فحسب بل والشعب المصري. ليس من الغريب ان نرى الان عودة الجيش المصري لقيادة الشعب ثانية ولا تزال مفاهيمه كما هي. بعبارة أخرى يمكن الاستنتاج بان افراد الشعب كانوا ولا يزالون مصابون بالمؤسسية Institutionalised. اما عملية خلع المؤسسة فهي لم تحدث منذ اليوم الأول من الثورة حين هتف الشعب ينادي بتدخل الجيش وتأمين عملية ديمقراطية لا تشكل جزءاً من مفاهيم مؤسسة الجيش المصري. تشير جميع التقارير حتى بداية فصل الربيع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية بان ما تسمى بالثورة المضادة

ولكن حتى بعد رحيل الفرد من المؤسسة يحمل في حقيبته مكافأة انتهاء الخدمة ومفاهيم المؤسسة نفسها.

يواجه الفرد الكثير من الصعوبات بعد وداعه المؤسسة التي انتمى اليه. مصدر هذه الصعوبات هو ما يطلق عليه العجز المكتسب **Learnt helplessness** وهو تعلم الشعور بعدم القدرة على تجاوز التحديات بدون الرجوع الى المؤسسة.

تختلف مؤسسات العالم العربي بكونها قوتها واكتسابها المناعة ضد التغيير

لم يستطع الشارع المصري التخلص من المؤسسة ومفاهيمها التي لم تستوطن المؤسسة ومن ينتمي اليها فحسب بل والشعب المصري

يمكن الاستنتاج بان افراد الشعب كانوا ولا يزالون مصابون بالمؤسسية Institutionalised

في مصر قد اُكتملت<sup>3</sup> وعادت المؤسسة الاقوى الى السيطرة على من ينتمي اليها اجبارياً او تطوعياً بالالتزام بالمفاهيم التي لم تتغير والتي استوطنت المؤسسة منذ أكثر من نصف قرن من الزمان.

## العراق

تسلط حزب البعث على أمور العراق منذ عام 1968 وتم استحداث مؤسسة لا يقوى أحد على تحديها وسيطرت على كافة جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العراق. لم تتغير هذه المؤسسة في اطارها ومحتواها رغم التغييرات التي حدثت في تركيبة قيادتها في نهاية السبعينيات وبعد نهاية حرب الخليج الأولى. بعد انهيار الدولة العراقية في عام 2003 وتفسخ جميع المؤسسات التابعة للمؤسسة الكبرى وجد المواطن نفسه في حالة ضياع وفوضى لا تزال اثارها واضحة حتى يومنا هذا. رفعت الدولة العراقية شعار اجتثاث البعث للتخلص من المؤسسة ولكن هذا الشعار تم تطبيقه على الافراد بدلاً من المفاهيم المتأصلة في المؤسسة التي دمرت العراق تدريجياً على مدى ربع قرن من الزمان. بدلاً من ذلك تم استحداث مؤسسة جديدة حملت معها مفاهيم كانت مستوطنة في المؤسسة القديمة في اطارها ومحتواها مثل الطائفية والقبلية والعشائرية والفساد المالي. رغم ان العراق ثامن أكبر منتج للنفط في العالم ولكن كان هناك عجز في ميزانيته لعام 2013<sup>2</sup> ولا يزال يضخم من قيمة عائدات النفط، والبرلمان العراقي لا يقبل الموافقة على الميزانية الجديدة الا لسبب واحد وهو الفساد المالي لجميع الأطراف من شيعية وسنية وكردية لا تزال تتمسك بمفاهيم المؤسسة التي تسلطت عليها سابقاً.

## الأقطار العربية الأخرى

لا يختلف الحال في بقية الأقطار العربية. لا يزال التنظيم المؤسسي في غاية الوضوح في الأقطار التي انتشر او لم ينتشر فيها الربيع العربي، ويشمل ذلك لبنان التي تتميز بوجود نظام برلماني قديم ولكنه يحتضن عملية التنظيم المؤسسي التي منعت من عملية اندماج صحية لجميع المواطنين. ولكن لا يزال هناك بريق من الامل في انتقال تونس الى مرحلة جديدة وقيام مؤسسات عصرية جديدة لا تحمل المفاهيم التي استوطنت المؤسسة القديمة.

## إمتهاق المواطن العربي

لا يختلف المواطن العربي عن بقية البشر في شرق وغرب العالم، ولكنه تم تجريده من قيمته داخل المؤسسات التي انتمى اليها طوعاً او قهراً. هذه المؤسسات جميعها وحتى يومنا هذا تتميز بغياب الكمال في مفاهيمها.

لكن المواطن العربي حاول ولا يزال يحاول الحفاظ على قيمته الذاتية واستحداث مؤسسات تؤمن

أما عملية خلق المؤسسة فهذه لم تحدث منذ اليوم الأول من الثورة حين هتف الشعب ينادي بتدخل الجيش وتأمين عملية ديمقراطية لا تشكل جزءاً من مفاهيم مؤسسة الجيش المصري.

تسلط حزب البعث على أمور العراق منذ عام 1968 وتم استحداث مؤسسة لا يقوى أحد على تحديها وسيطرت على كافة جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العراق.

رفعت الدولة العراقية شعار اجتثاث البعث للتخلص من المؤسسة ولكن هذا الشعار تم تطبيقه على الافراد بدلاً من المفاهيم المتأصلة في المؤسسة التي دمرت العراق تدريجياً على مدى ربع قرن من الزمان.

لا يزال هناك بريق من الامل في انتقال تونس الى مرحلة جديدة وقيام مؤسسات عصرية جديدة لا تحمل المفاهيم التي استوطنت المؤسسة القديمة.

بحقيقة واحدة هو شعور الإنسان بحريته في التعبير وانتهاز الفرص المشروعة في داخل او خارج المؤسسة. ظهرت مؤسسات جديدة بعد الربيع العربي حملت مفاهيم لا تختلف في محتواها واطارها عن مفاهيم المؤسسات السابقة وتحرص كذلك على تقييد حرية الفرد وتجريده من قيمته. شعار المؤسسات البديلة لا يقل خداعاً عن شعارات شركات مستحضرات التجميل العالمية<sup>1</sup> مثل 'L' Oreal التي تحرص على تشجيع الفرد الانتماء اليها وشراء مستحضراتها تحت نداء " لأنك تستحقين ذلك". لكن الاصح هو شعار المؤسسة نفسها "لأنني استحق ذلك".

لا يختلف المواطن العربي عن بقية البشر في شرق وغرب العالم، ولكنه تم تجريده من قيمته داخل المؤسسات التي انتمك اليها طوعاً او قهراً.

ظهرت مؤسسات جديدة بعد الربيع العربي حملت مفاهيم لا تختلف في محتواها واطارها عن مفاهيم المؤسسات السابقة وتحرص كذلك على تقييد حرية الفرد وتجريده من قيمته.

## المصادر:

- 1 Blackburn S (2014). Mirror, Mirror: The uses and Abuses of Self-Love. Princeton University Press.
- 2 Economist (2014). Iraq: as bad as it gets. March 21 2014.
- 3 Kingsley P (2014). Egypt is spring 2014: is the counter-revolution now complete? The Observer 23 March 2014>

\*\*\*\*

## اصدارات " شبكة العلوم النفسية العربية "

### اصداراتمعمية بكلمة بحور للمشتريين

- المجلة العربية للعلوم النفسية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

- الكتاب النفسي العربي

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

- المعجم الموسع للعلوم النفسية

الاصدارا العربي

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm>

### اصداراتالتحميل الحر (بحر معمية بكلمة بحور)

- الإصدار الفصلي للإنسان والتطور ( حسب الخاور)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm>

- المعجم الوجيز للعلوم النفسية

الاصدارا العربي

<http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Ar.htm>

- الكتاب النفسي العربي ( اصدارات خارج السلسلة الفصلية)

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

- إصدارات التراث النفسي العرباسلامي

[www.arabpsynet.com/TourathPsy/eBT1Wazzani2013.pdf](http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/eBT1Wazzani2013.pdf)

- المجلة العربية للعلوم النفسية ( من العدد الأول إلى العدد 26-25 )

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

- مجلة مستجدات العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>